أشرف غربال: المستشار الذاهب سفيراً لمصر إلى واشنطن: إنني متفائل ونحن في إنتظار ما تفعله أميركا

وصلت كميات جديدة من الطحين الكندي الممتاز روبن هود ROBIN HOOD
سارعوا إلى تسجيل طلباتكم
التلفون: ٢٧٧٦٦٠-٣٤٣٢٩٠

النهار
١٤ صفحة
٢٥ قرشاً

لتزيين موائدكم لسانات، قصبة سوداء كالاوي - طحالات (كالكو علامة الجودة)
كالكو لحوم مجلدة CALCO
مؤسسات آشيل ج. كاليونجي

AN-NAHAR — 16 Nov. 1973 — 41e Année — No. 119

قصة اول محاولة لاعادة العلاقات المصرية - الاميركية
اشرف غربال لـ "النهار": انني متفائل... ونحن ننتظر (ص ٩)

القذافي يدعو السادات إلى استئناف القتال ولو بالسيف!

بدأ تبادل الأسرى
أطلقت مصر ٢٦ جريحاً إسرائيلياً

من خميسية النهار
تنفيعة القذافي
هل تخطىء أم تصيب؟

حرب القذافي ضد السادات تشمل الاسد الا أن تركيزها على الرئيس المصري. فهو متهم بأنه ذهب الى الحرب ويذهب الى السلام دون التقيد بالدستور الاتحادي أي دون الوقوف على رأيه. وبرقية الرئيس الليبي الى الرئيس المصري، وهي أشبه بالقذيفة الموجهة، تشكل لائحة الاتهام. واذاعتها ونشرها هدفهما احالة الرئيس السادات الى محكمة الشعب المصري والشعب العربي بل والى محكمة التاريخ العربي.

لقد سبق للقذافي، بعد بداية الحرب وبعد الموافقة على وقف اطلاق النار، ان قال كلاما يتضمن الانتقاد للحرب وكيفية خوضها ولوقف اطلاق النار وتحت أية ظروف حدث وللدور المعطى للدول الكبرى. الا ان كلامه طفت عليه آنذاك أصوات المدافع المنتصرة في البداية ثم أصوات ...

ما أن صدر قرار تعيين الدكتور أشرف غربال سفيراً مصر في واشنطن حتى شعر كل الأميركيين المقيمين في مصر مراسلين وموظفين ورعايا بالكثير من الإرتياح. وفي اليوم التالي بدأت برقيات التهنئة تصل إلى الدكتور غربال من أميركيين أصدقاء له منتشرين في ثلاثة أرباع الولايات الأميركية. بعض هؤلاء مواطنون عاديون والبعض الآخر يشارك في المسؤولية من مشارف القمة إلى السفوح ومن الأساس إلى القاعدة. والمقصود بالقمة البيت الأبيض وبالسفوح الكونغرس والبنتاغون، أما المقصود بالقاعدة فرجال المال والشركات. وعندما إلتقيتُ قبْل ثلاثة أيام الدكتور غربال في منزله وكانت جلسة طويلة إمتدت ثلاث ساعات كانت البرقيات ما تزال ترِد، وقد تسلَّم ونحن نطوف (وهي أحدث كلمات الديبلوماسية المصرية) على كل ما يتعلق بالظروف الراهنة وطبيعة العلاقات المصرية _ الأميركية في ضوء ما إستجد نتيجة لزيارة الدكتور هنري كيسينجر للقاهرة ... برقيتيْن. الأُولى من يوجين بلاك والأُخرى من ديفيد روكفلر. وكلاهما يعبِّر عن ترحيبه بإختيار أشرف غربال سفيراً لمصر في واشنطن. وكلاهما يتمنى له التوفيق.

وإذا جاز التعبير فإن أشرف غربال من الإستثنائيين في الخارجية المصرية. ومواصفات الإستثنائي كثيرة أبرزها الثقافة الشاملة وبُعد النظر والقدرة على التكيف.

وكانت "حرب رمضان" مناسبة زادت فيها رقعة إنتشار أشرف غربال في العالم وبالذات في العالم الغربي. وخلال تلك الأيام كنا كمراسلين نراه يومياً بعدما أُوكل إليه أمر الإهتمام بعشرات الصحافيين الذين وفدوا من ثلاثة أرباع العالم لمتابعة الحرب معارك ومضاعفات. وهو لم يساعد على إيجاد مناخ مريح لهؤلاء الصحافيين فحسب بل تمكَّن من إقناع كثيرين بوجهة نظر مصر. والذي ساعد على ذلك أن الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والإعلام ووزير الإعلام كان يرى أيضاً إنتهاج سياسة إنفتاح في الإعلام لا تتجاوز ما قد يسيء إلى مسألة الأمن المصري.

وأعترف أن كثيرين من المراسلين وأنا أحدهم صادفتْهم إشكالات ما _ وأقول إشكالات تفادياً لكلمة مشاكل – لولا معالجة الدكتور غربال لها لكانت تجاوزت المقبول إلى غير المقبول.

إن الصيغة التي تم بها تعيين الدكتور غربال سفيراً كانت دقيقة جداً. فهو عُيِّن رئيساً لبعثة المصالح المصرية

في واشنطن إنما على مستوى سفير. وتلك هي المرة الأُولى التي يكون فيها رئيس بعثة المصالح سفيراً. وأراد الرئيس السادات بذلك تضييق عنصر المفاجأة إضافة إلى أنه ترك الباب مغلقاً قليلاً أمام عودة العلاقات في الشكل التقليدي.

الرابعان منذ 1947

وبدأ الدكتور غربال، الذي ما زال يواظب على الحضور إلى مكتبه في قصر عابدين وهو المكتب الذي خُصص به بعدما أُسند إليه منصب المستشار الصحافي لرئيس الجمهورية، يستعد للسفر إلى واشنطن. والأرجح أن يغادر القاهرة يوم 26 تشرين الثاني الجاري إلى جنيف حيث يمضي يومين ومنها يتابع سفره إلى واشنطن. سترافقه زوجته آمال وستبقى إبنتهما ناهد (19 عاماً) الطالبة في الجامعة الأميركية في القاهرة وإبنهما عمر (15 عاماً) الطالب في المرحلة الثانوية في القاهرة.

والدكتور غربال الذي له ملامح أستاذ الجامعة ورقة الشاعر وعُنْف صاحب القضية هو رابع سفير لمصر لدى الولايات المتحدة. الأول كان محمود حسن (1947). والثاني كان أحمد حسين (1952). والثالث كان مصطفى كامل (1957). والثلاثة ما زالوا أحياء. وقبْل 1947 كان التمثيل على مستوى وزير مفوض.

كذلك فإن هيرمان ايليتس السفير الأميركي المعيَّن الذي وصل الأحد (11 تشرين الثاني 1973) إلى القاهرة وصرَّح فور وصوله بأنه "يأمل في أن يساهم في شكل بنَّاء في المهمات الدبلوماسية المقبلة" هو أيضاً رابع سفير أميركي منذ 1947. والثلاثة الذين سبقوه هم جيفرسون كافري وجون بادو ولوشيوس باتل لان ريتشارد نولين الذي كان مفروضاً أن يقدِّم أوراق إعتماده إلى الرئيس جمال عبدالناصر في أيار 1967 كان عاثر الحظ ذلك أن حرب 5 حزيران 1967 قامت وقُطعت العلاقات وإستمرت مقطوعة إلى أن كانت زيارة كيسينجر للقاهرة والإتفاق مع الرئيس السادات على إعادة العلاقات.

وخلال فترة الإنقطاع الطويلة حدثت محاولات لإعادة العلاقات بين القاهرة وواشنطن إلاَّ أنها كانت تصطدم بإصرار أميركا على تشجيع إسرائيل ومدها بالسلاح والوقوف إلى جانبها خلال مناقشة أي إعتداء أو حادث قرصنة تُقدِم عليه.

محاولة واحدة كاد أن يُكتب لها الحظ لو لم يتردد الرئيس نيكسون ثم يرفض. وهذه المحاولة لم يسبق أن كُشف عنها من قبْل، كان ذلك خريف 1968. فبعدما تم إنتخاب نيكسون رئيساً (تشرين الثاني 1968) تشاور مسؤول مصري مهم مع يوجين بلاك في أمر إعادة العلاقات وقبْل أن يُقدِم المسؤول المصري على خطوته إستأذن عبد الناصر فلم يعارض الرئيس الراحل الفكرة وفي الوقت نفسه لم يؤيدها، وهذا الموقف من جانب عبد الناصر شجع المسؤول المصري على أن يحاول.

وإقترح المسؤول المصري على يوجين بلاك أن يتضمن خطاب الإفتتاح الذي سيلقيه نيكسون فقرات تؤيد الحق العربي في إسترداد الأرض التي إحتلتها إسرائيل، وحق فلسطين في تقرير مصيره. وكان رأي المسؤول المصري أن تضمين الخطاب مثل هذه الفقرات سيسهِّل على مصر وبقية الدول العربية إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة

«النهار» الصفحة ١١

اشرف غربال وكيسينجر ·

الرئيس السادات يرئس اجتماع عمل · من اليسار : اشرف غربال يوسف السباعي ، عبدالقادر حاتم ، مراد غالب ، عبدالفتاح عبدالله

اشرف غربال مع العائلة ·

انني متفائل ونحن في انتظار ما تفعله اميركا

القاهرة — من فؤاد مطر

خصوصاً أن العرب يأخذون في الإعتبار ماضي نيكسون أيام كان نائباً للرئيس أيزنهاور الذي وقف في حزم إلى جانب العرب عام 1956 وأفاد موقفه هذا في إتمام عملية الجلاء.

ورحب يوجين بلاك بإقتراح المسؤول المصري ووعد بدعمه لدى الرئيس نيكسون، كذلك تم التفاهم بين المسؤول المصري ويوجين بلاك على أن تتم إعادة العلاقات يوم 31 كانون الثاني 1969 إذا تضمَّن خطاب نيكسون الذي سيلقيه يوم 20 كانون الثاني الفقرات المتفَق عليها.

وأبلغ بلاك صديقه المسؤول المصري أنه عرض الفكرة على الرئيس نيكسون وأن عليهما الإنتظار. وتابع الإثنان في إهتمام بالغ خطاب نيكسون فإذا به لا يتضمن تلك الفقرات.

... وضاعت المحاولة. أميركا ضيَّعتْها.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن عبدالناصر بعدم معارضته إقتراح المسؤول المصري وعدم تأييده كان آخذاً في الإعتبار أن نيكسون من الجمهوريين وكان نائباً لأيزنهاور وأنه ربما إعتمد أسلوباً جديداً يختلف عن أسلوب جونسون.

غربال يتذكر

أترك الآن الدكتور غربال يقدِّم نفسه. إن للرجل ذاكرة لعلها تستمر جيدة وهو يناقش الأميركيين الذاهب إليهم في ما فعلوه في المنطقة على الأقل من 1967 حتى الآن أو حتى إشعار آخر، إذ أننا بنسبة بسيطة من الأمل سنتوقع أن يعتدلوا بعض الشيء بعدما أثبت الزمن بطلان حساباتهم.

يتذكر الدكتور غربال فيقول: "أنا من مواليد الإسكندرية عام 1925. والدي عبد اللطيف كان رجل قانون تدرَّج إلى أن أصبح وكيلاً لوزارة العدل. عمي شفيق غربال مؤرخ كتب رسالة بعنوان "ظهور محمد علي وبدء القضية المصرية" أشرف عليها أرنولد توينبي. أنا جمعتُ بين القانون والديبلوماسية.

درستُ في الإسكندرية والتحقت بجامعة القاهرة لدراسة العلوم السياسية (1941 _ 1945)، في وقت واحد إلتحق بالجامعة زميلان آخران هما إسماعيل فهمي (وزير الخارجية الحالي) ومحمد رياض (وكيل وزارة الخارجية حالياً). دخلْنا الجامعة معاً ونجحنا معاً وتخرجْنا معاً. وإلتحقْنا بوزارة الخارجية معاً. كانوا في الجامعة يقولون عنا "التريو".

بعد ذلك أوفدتْني وزارة الخارجية في بعثة دراسية إلى هارفرد. هناك تزاملت مع غسان تويني. أبحرْنا معاً من بور سعيد يوم 13 كانون الثاني 1946 على باخرة إسمها "كورنيلياس غيليام" كانت ملأى بجنود أميركيين عائدين من الحرب. كان على الباخرة 400 من الطلبة العرب. أمضينا ثلاثة أسابيع في الباخرة لا نرى سوى المياه. لشدة ضيقِنا وضجرِنا قرر بعضنا (أي الطلبة) النزول من الباخرة عندما ترسو في جبل طارق. ويبدو أن القبطان سمع بالقرار فأوقف الباخرة في عرْض البحر وتولى "لنش" تزويدها ببعض الأدوية والاجهزة الطبية والمأكولات. ثم واصل القبطان الرحلة. وصلْنا إلى نيويورك في 3 شباط 1947 الثامنة صباحاً وغادرْنا الباخرة الخامسة بعد الظهر. ويوم 4 شباط كنت في القطار متوجهاً إلى هارفرد.

ولاحظتُ في صف مادة التاريخ التي كان يُدرِّسها أستاذ التاريخ المشهور سيدني فاي وجود غسان تويني وتزاملْنا طوال مدة الدراسة التي إستمرت قرابة ثلاث سنوات ونصف سنة. وعندما توفي والد غسان ترك كل شيء وسافر إلى الأرجنتين ولقد جمعتُ له أغراضه التي تركها وأرسلتُها إليه في بيروت.

بعدما أنهيتُ دراستي في هارفرد عدتُ إلى القاهرة أستأنف العمل في وزارة الخارجية. ثم أمضيت سنة معاراً لأمانة الأمم المتحدة في نيويورك (لجنة حقوق الإنسان). بعدها عُينتُ عضواً في الوفد المصري الدائم لدى الأمم المتحدة. وكان من حُسْن حظي أنني مثلتُ مصر مع الدكتور محمود عزمي الصحافي المعروف. كما كان من حُسْن حظي أيضاً أن رئيس لجنة حقوق الإنسان آنذاك كان الدكتور شارل مالك أستاذي وصديقي الذي أعتز بصداقته حتى هذه اللحظة. وعندما جاء الدكتور مالك قبْل سنتين إلى واشنطن إلتقينا. بعد ذلك عملتُ في باريس ولندن وجنيف، وحالفني الحظ لأنني عملتُ في هذه العواصم في أوقات كانت مشحونة بالأزمات الأمر الذي وفر لي الفرصة للحصول على تجارب ما كانت لتتوافر في أوقات أو في عواصم أُخرى. فترة عملي في باريس صادفت مرحلة جهاد تونس والمغرب من أجْل الإستقلال. وأذكر أن منديس فرانس إستدعى آنذاك سفير مصر

محمود صالح الفلكي ليرجوه إبلاغ رسالة إلى جمال عبدالناصر تتضمن إستعداد فرنسا لشراء كميات ضخمة من القطن المصري في مقابل أن تخفف إذاعة "صوت العرب" حدة الهجوم على فرنسا بالنسبة إلى موضوع جهاد تونس والمغرب. وجاء رد عبدالناصر: إن مبادىء مصر ليست موضع مساومة.

بعد فرنسا عملتُ في بريطانيا (1955). في تلك الفترة أعلن عبد الناصر تأميم قناة السويس وأدى ذلك إلى تطورات في منتهى الخطورة (العدوان الثلاثي وقطْع العلاقات بين مصر وبريطانيا). وكنت بين الذين أغلقوا السفارة. والواقع أنني كنت أفترض إقدام بريطانيا على عمل عسكري ضد مصر. وكان دليلي على ذلك الطريقة التي عالج بها أنطوني إيدن مسألة التأميم. وأتذكر أنني بعدما إقتنعتُ بإحتمال إقدام بريطانيا على عمل عسكري ضدنا بدأتُ أُجهّز نفسي لترك لندن ولقد تركتُها بمجرد أن أُعلن قطْع العلاقات. وأتذكر، أيضاً أن محاولات الولايات المتحدة آنذاك هي التي ساعدت على تأجيل العدوان فترة لكن فكرة العدوان إستمرت تراود أفكار إيدن إلى أن أقْدم على مغامرته الحمقاء. وخلال أزمة التأميم كان من ضِمْن مهمتي إعداد ردود السفارة المصرية على تصريحات المسؤولين البريطانيين أو ما كان يصْدر من جانب أو من آخر في مؤتمرات لندن في شأن القناة. ونحن لم نحضر المؤتمرات إنما كنا نقرأ محاضر الجلسات في اليوم نفسه لنعلّق عليها ببيان صحافي يصدر في اليوم التالي في الصحف البريطانية التي أعترف أنها كانت كريمة في إبراز وجهة النظر التي أبدتها السفارة المصرية في كل وقت.

عام 1957 توجهتُ إلى جنيف وهناك شاركتُ في المحادثات المصرية – الفرنسية التي إستغرقت عاماً كاملاً لتسوية آثار إشتراك فرنسا في العدوان الثلاثي، وإنتهت المحادثات بتوقيع إتفاق مع فرنسا، وكان المفاوض المصري آنذاك عبد الجليل العمري.

بعد جنيف عملتُ فترة في مصر إشتركتُ في مؤتمر اللاإنحياز الأول. ثم عملتُ مع محمود رياض مستشاراً أول للوفد الدائم في نيويورك (1963 _ 1964). أمضيت عام 1964 قائماً بالأعمال في كندا. ثم عدتُ إلى القاهرة لأُعيَّن في واشنطن (أيار 1967) الرجل الثاني في السفارة المصرية. وحددتُ موعداً لمغادرتي القاهرة إلى واشنطن يوم 5 حزيران 1967. وفي صباح ذلك اليوم بدأ العدوان الإسرائيلي. وعام 1968 سافرتُ إلى واشنطن كمشرف على رعاية المصالح المصرية. وبقيت أربع سنوات ونصف سنة".

المستشار

وعاد أشرف غربال إلى القاهرة مساعداً لمستشار الرئيس السادات لشؤون الأمن القومي السيد حافظ إسماعيل ثم مستشاراً صحافي للرئيس السادات.

وسألتُ الدكتور غربال عن علاقته بالرئيس السادات فقال: "في كانون الأول 1971 زرت الرئيس السادات وعرضتُ عليه أفكاراً خلاصتها إنني أشعر_ نتيجة سنوات الممل التي أمضيتها في واشنطن ودراستي للموقف الإسرائيلي والموقف الأميركي _ أن إسرائيل لن تتزحزح من الأراضي المحتلة إلاَّ بقوة السلاح" وإستعملتُ تعبيراً عن فكرتي هذه عبارة أشار إليها الرئيس السادات في إجتماع اللجنة المركزية للإتحاد الإشتراكي العربي (أوائل كانون الثاني 1972) وكان لقائي الأول والسادات تم في شباط 1966 عندما زار الولايات المتحدة كرئيس لمجلس الأمة (مجلس الشعب حالياً). وكنتُ آنذاك أحضر إجتماعات إحدى لجان الأمم المتحدة. وإجتمعنا مرة أُخرى في نيودلهي خلال إجتماع عقدَه الماريشال تيتو والرئيس عبد الناصر والسيدة انديرا غاندي، وكنت عضواً في الوفد الذي كان السادات شارك فيه إلى جانب عبد الناصر.

كيف يفهم أميركا؟

طلبتُ من الدكتور غربال أن يوضح لي كيف يفهم أميركا والشعب الأميركي وكيف إستطاع أن يبني هذا الرصيد المهم في الولايات المتحدة، وهل إن هناك طريقة سحرية معيَّنة مطلوب إعتمادها للتعامل مع الأميركيين؟

أجاب: "إن عنصر الزمن ضروري في مثل هذه الحال ذلك أنني أمضيت سنوات طويلة في الولايات المتحدة، وبإستثناء سبع سنوات فإنني منذ العام 1946 بدأتُ أعمل وأتابع في الولايات المتحدة. وحتى خلال السنوات السبع التي أمضيتها في أوروبا كنت أتابع في إهتمام بالغ التطورات الأميركية داخلياً وخارجياً. وخلال عملي الطويل في

الولايات المتحدة كنت أضافة إلى شغفي بدراسة المجتمع الأميركي أبني علاقات مع الناس على كل المستويات. وفي الفترة من 1964 إلى 1973 كنت حريصاً على أن أنشط في إتجاهيْن لخدمة القضية العربية. الإتجاه الأول هو إقناع المسؤولين الأميركيين وغير المسؤولين بعدالة الموقف العربي وأن مصلحة الولايات المتحدة تقتضي وجود علاقات طيبة بينها وبين العالم العربي وتأييد الحل السلمي الذي يحقق أماني العرب في إسترداد أرضهم، وأماني الشعب الفلسطيني في الحصول على حقه المشروع، عِلْماً أن ذلك لا يشكِّل خطراً على إسرائيل إذا أرادت لها أميركا أن تعيش كدولة داخل حدود يُتفق عليها وإذا أرادت لها أميركا أيضاً ألاَّ تعتدي على الآخرين. أما الإتجاه الثاني فهو محاولة بناء علاقات مع رجال الإعلام الأميركي علّ بعضهم يقتنع إذا كان من الصعب إقناع المسؤولين. وبالنسبة إلى الإتجاه الأول يؤسفني أن أقول إن التأثير الصهيوني على السياسة الأميركية كان من الضخامة بحيث أن سُبل الإقناع سُدت تماماً، كنت أشعر أن الجميع يستمعون إليَّ بآذان صاغية وأنهم في قرارة أنفسهم يتقبلون منطق الحجة لكنني كنتُ ألاحظ أن المحصلة النهائية تأتي عكس ذلك. إن الأميركيين مقتنعون بأن مصلحتهم الحقيقية هي في إيجاد علاقات طيبة مع العرب لكنهم في قراراتهم يقفون ضد العرب كما لو أن الصهيونية سحرتْهم، وأن السحر الذي إستعملتْه كان مؤثراً إلى درجة أنهم إقتنعوا بالمنطق الإسرائيلي الذي يفيد أن العرب سيرضخون في النهاية ما دامت أميركا تؤيد موقف إسرائيل. وفي النهاية ثبُت للأميركيين بطلان هذا الموقف. وبالنسبة إلى الإتجاه الثاني أستطيع القول إن المناخ الذي أحدثتْه علاقاتي برجال الإعلام الأميركي أفاد في الإهتمام بعض الشيء بالقضية العربية وهذا أمر في غاية الأهمية عندما نأخذ في الإعتبار تأثير الصهيونية على الإعلام الأميركي".

هي التي طلبت

قلت للدكتور غربال: ما هي الظروف الموضوعية التي فرضت إعادة العلاقات بين القاهرة وواشنطن؟

أجاب: "منذ فترة والولايات المتحدة تعلن صراحة رغبتها في إعادة العلاقات مع مصر. وبدأت واشنطن تفصح عن رغبتها هذه منذ 1968.

وكان عبد الناصر يقول دائماً: على أي أساس سنعيد العلاقات وموقف أميركا كما هو من تأييد كامل لإسرائيل سياسياً وعسكرياً وإقتصادياً في الوقت الذي تحتل إسرائيل بعض الأراضي العربية؟ وعندما زار الدكتور محمود فوزي واشنطن للإشتراك في تشييع جنازة أيزنهاور ظن الكثيرون أن الفرصة أصبحت مؤاتية لكن الموقف الأميركي إستمر على ما هو وضاعت بذلك فرصة أُخرى.

ولو أن روجرز بعدما زار القاهرة عام 1971 تابع ما وعد به لكنا اليوم إما في سلام وإما على أبواب السلام. لكن إسرائيل، ويا للأسف، مارست السحر وفَعلَ السحر فِعْله في الأميركيين. أما الآن فإن الصورة تبدلت تماماً. إن الإنتفاضة العربية التي بدأت يوم 6 تشرين الأول 1973 غيرت الوضع. لم تعد مصر تلك الجثة الهامدة التي كان الإسرائيليون أو مَن يؤيدهم يمارسون غطرستهم عليها. والوحدة العربية التي كانت حلماً تبيَّن أنها سهلة التحقيق.

والبترول الذي كانوا يراهنون في إسرائيل والغرب على أنه لن يُستعمل كسلاح عربي ضاغط إستُعمل وأفاد. إن ثقة العرب بأنفسهم ولِدت يوم 6 تشرين الأول. ومن هنا تصريح كيسينجر يوم 7 تشرين الأول الذي جاء فيه: "لقد أثبت العرب موقفهم. بل إن بيغال الون نفسه إعترف بأن إسرائيل أساءت تقدير الجندي العربي وشجاعته وكفايته.

إن سنة 1973 كان مفترَضاً أن تكون سنة أوروبا لكنها أصبحت سنة الشرق الأوسط. وعندما إجتمع العملاقان (روسيا وأميركا) في تموز 1973 في واشنطن إتفقا على أن يبقيا على خلاف بالنسبة إلى الشرق الأوسط وأن يؤجلا النظر في الأزمة العربية _ الإسرائيلية إلى سنة 1974. لكن يوم 6 تشرين الأول جعل العملاقيْن يتفرغان لأزمة الشرق الأوسط فيزور كيسينجر موسكو بعدما زار كوسيغين القاهرة ثم يزور كيسينجر القاهرة بعد ذلك.

إن يوم 6 تشرين الأول 1973 هو الذي جعل العملاقيْن يعيدان النظر في كل الحسابات ويتفقان على العمل معاً لإيجاد تسوية عادلة لأزمة الشرق الأوسط ولولا الثقة بالنفس التي بعثها يوم 6 تشرين الأول لما كان للوضع أن يتبدل، وفي ضوء ما أحدثه ذلك اليوم عادت واشنطن وفاتحت مصر في موضوع إعادة العلاقات وعرضت

ذاك على إسماعيل فهمي عندما زار واشنطن. وبعدما جاء كيسينجر إلى القاهرة وتحادث مع الرئيس السادات وجد الرئيس من المناسب إعادة العلاقات مع الولايات المتحدة مِن حيث المبدأ".

وسألتُ غربال ماذا تعني عبارة "مِن حيث المبدأ" في قاموس الديبلوماسية المصرية؟ أجاب:

"تعني إظهار إستعداد طيّب من جانب مصر لوضْع صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين خصوصاً أن الولايات المتحدة حرصت بما إتخذتْه من خطوات حتى الآن على إظهار رغبتها في بذْل كل جهد لدفع المساعي إلى حيث يمكن تنفيذ التسوية العادلة. ومن هنا سيتبين مدى تمشّي التصرفات والأفعال الأميركية إنعكاساً وقياساً على هذا العزم الطيّب والتصريحات البنَّاءة".

الذي تعمده السادات

وإذا كان من الطبيعي أن يعتمد الدكتور غربال هذه الصيغة اللبقة في تفسيره لعبارة "مِن حيث المبدأ" لأنه مسافر إلى واشنطن بعد أيام ولا يريد لمهمته أن تصطدم أو تتعثر، فإن مصادر رسمية مصرية قالت لي إن الرئيس السادات أراد من عبارة "مِن حيث المبدأ" أمريْن: الأول، هو إفهام الدول العربية الأُخرى، التي قطعت مع مصر علاقاتها أن إعادة العلاقات من جانب مصر مع أميركا هي خطوة تكتيكية أكثر منها خطوة مبدئية. أما الأمر الثاني فهو أن الرئيس السادات لم يشأ أن يفرّط بورقة العلاقات مرة واحدة، وعلى ذلك يمكن القول إنه لعب نصف الورقة وأن العلاقات بين مصر وأميركا ستبقى مجرد إشراف على المصالح إنما بإدارة سفير إلى أن يتحقق الإنسحاب الإسرائيلي كاملاً وتفي أميركا بكل الإلتزامات والوعود والضمانات التي عرضها كيسينجر على السادات عندما إجتمعا في القاهرة. وعلى هذا الأساس لن يقدِّم أحد من السفيريْن (المصري والأميركي) أوراق إعتماده إلى أن يتم الإنسحاب. وبمجرد حدوث ذلك فإن عملية تقديم أوراق الإعتماد لن تستغرق أكثر من دقائق.

وفوق هذا إن وجود سفير في كلا العاصمتيْن وإن تكن مهمته المعلنة هي الإشراف على المصالح أمر مهم جداً، ذلك أن المصالح المصرية _ الأميركية من النوع السياسي ووجود سفير من شأنه جعْل الحوار أكثر فعالية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ديون أميركا على مصر كانت قبْل سنتيْن نحو 130 مليون دولار لكنها الآن لا تتجاوز الثمانين مليوناً.

كذلك من حق الدكتور غربال أن يتحفظ عندما سألتُه عما فعل، كيسينجر في القاهرة، لكن مصدراً رسمياً مصرياً قال لي: «أظن أن كيسينجر ما كان ليسافر إلى موسكو ثم يأتي إلى القاهرة بهدف الإتفاق على وقف إطلاق النار فقط، إن المسألة أهم من ذلك بكثير».

ميَّال إلى التفاؤل

قلت للدكتور غربال: ماذا سيكون عملك الأساسي في أميركا؟

أجاب: "إنني ذاهب إلى واشنطن في ضوء تطور كبير حدث، وأنا ميَّال إلى التفاؤل. إن يوم 6 تشرين الأول حرَّرَنا من العُقد كما أنه جعل العرب محل إحترام العالم. وإذا كان هذا التطور الذي حدث فعل فِعْله في الولايات المتحدة فإنني لن أدخر وسعاً في إستغلال الجو الجديد لإقناع الكونغرس والصحافة ورجال المال بمضاعفة الجهد من أجْل الوصول إلى السلام العادل في المنطقة".

قلت: هل أفهم من كلامك إنك تتوقع تطبيقاً كاملاً لقرار مجلس الأمن 242؟

أجاب: "عندي قناعة كاملة بإمكان تطبيق القرار".

قلت: هل تتصور أن إسرائيل يمكن أن تنسحب من كل الأراضي التي إحتلتْها عام 1967؟

أجاب: "إن إغلاق باب المندب أثبت أن شرم الشيخ لا توفر الملاحة لإسرائيل. فما الذي تفعله إسرائيل حيال ذلك؟ هل تحتل أيضاً باب المندب أم تعيش في سلام مع العرب؟ إن نظرية الأمن الإسرائيلية كانت أيضاً خاطئة بدليل أن خط بارليف إنهار من أول ضربة، هذا معناه أن أمن إسرائيل لا يتحقق بالإحتلال والسيطرة. وإضافة إلى ذلك ثبُت أن سلاح البترول فعال أكثر مما كان يتصور الجميع. وخلال أيام، من إستعمال هذا السلاح إضطرت بضع دول أوروبية إلى التمسك بضرورة تحقيق التسوية السياسية العادلة وهو أمر لم تستطع كل المحاولات الديبلوماسية في سنوات بل في خمس وعشرين سنة تأمينه، كذلك فإن الدول الأفريقية التي قطعت علاقاتها بإسرائيل بعد 6 تشرين الأول 1973 يوازي ثلاثة أمثال الدول التي قطعتْها قبْل ذلك، وإذا كانت إسرائيل تعتقد أن

الأسـطول السـادس أو الأسـطول السـابع يوفر الحماية لها فإن كلا الأسـطولَيْن لن يفعلا شـيئاً إذا لم يموَّنا بالنفط العربي".

الحقيقة أنني خرجتُ من هذا اللقاء مع الدكتور غربال الذي كان عبارة عن مناقشـة مفتوحة وطويلة ليس من الجائز نشْـر كل ما دار فيها، مسـتغرِباً إفراطه في التفاؤل بالموقف الأميركي. هل سـبب ذلك أن الرجل يعرف أميركا وأنا لا أعرفها وأنه خبرَ الأميركيين وأنا العكس؟

لعل وعسى. إنما في أي حال الإغراق في التفاؤل سابق لأوانه. مجرد رأي شخصي.

نُشر الحديث في صحيفة «النهار» – عدد الجمعة 16 نوفمبر/تشرين الثاني 1973